هذا القدر من الصعوبة وفوات رشاقة العبارات والعذوبة ان يشرح كتابا من المتون
او يختصر مبسوطا او يبسط مختصرا او يحل معقودا او ينظم منثورا فاقول ماذكر لا شك فيه
بل لم تمس الحاجة الى هذا الوضع اصلا بل انا في تاليفه متطوع وهو امر نفسه وانما الباعث
غير ذلك على اني اقول لو فعلت ماذكر لكان صوابا ولو سكت لوجد الطاعن فيه ذهابا
ولربما ولكني اقول انما يجري كل انسان على مساعدة طبعه وينفق كل ذي وسع من وسعه
ولله الحمد والمنة لا جرم ان طبايع المقاربين كطبايع المولفين كل قارى يميل به طبعه الى فن
وان كان غيره افاد منه واحسن وليس ذلك بخاف على ذي علم وانصاف على انه لو تامل الناظر
واجال فكره في هذا الكتاب وعرف ما اودع فيه بسبب هذا الاسلوب من غرايب اللغة
التي هي اولى مطلوب لذوي الالباب وما حواه من القضايا المنطقيه والدقايق الصرفيه
والنحويه في غالب الابواب الفاظها مما ذكرنا ومن الفقه المعني وغير ذلك وقد جاء بحمد
الله سالما من التصحيف وان وقع فيه على وجه الذهول فلا باس والقدوة فيه الكتاب
العزيز مثل قراة الكوفيين وابن عامر ننشزها بالزاي وغيرهم بالراء وغير ذلك مما حوته
مولفات كتب القراات فهو اول من صحف قال ابن هشام في مولفه موقد الاذهان وموقظ
الوسنان قيل اول من تكلم في ذلك امير المومنين علي رضي الله عنه وكرم وجهه فقال كل عيب
الكرم تغطيه اي ومراده كل عيب الكرم يغطيه وقال فيه ومن ملح ابن عباد انه خرج
مع وزرايه فاجتازوا في الموضع الذي يباع فيه الخبز والحبس فالقوا هناك
جارية من احسن الناس وجها واكثرهم بذاءة وفحشا وتبرجا فاقبل على ابن عمار فقال
الخبازين فقال العمو والحباسين فلم يعلم الحاضرون ما اراد فسالوا ابن عمار فقال انه قال
الجبانين فقلت والخناثين وكتب بعضهم الى صديق له يخبره ان الوشاة وشوا به
وصورته شاك بور فلما ورد عليه وقع في نفسه انه النبي وشى به فكتب اليه صحفه واقلبه
فهو جوابك فصحفه فاذا هو منك اتيت فلله در هذه الاذهان الصافيه والافكار
المتواردة على ادراك المعاني الدقيقه المتواريه واين هذه من رجل له ابن يسمى حسنا
سافر فاطال الغيبه فاستفتح المصحف بتفاؤله بالقدوم فخرج له وحسن مآب فترك اليتيم

بهذه

بهذه اللفظة لما آب الفتى سالما فقال وحسن مآب فاستدعى امه فاخبرها بموته فرفعت
صوتها بالبكا وتسامع الناس بذلك فلما كان من الغد اقبل الفتى في اغبط حال وابهج منظر
فسيل ابوه فاخبرهما تاوله على خط المصحف فاستحمق وصار مثلا فاذا علمت حسن موقع التصحيف
وانه من مستلذات ذوي الادب الشريف ولهم اليه غاية الانحراف والالتفات حتى ذكروه
في المولفات علمت انا لم نخرج به عن صواب وانه معدود من محسنات الكتاب على انه لو لم
يكن هذا المسند لما عابه احد ولو رخص فيه كل من عرف ضرورات الشعر وساعد لما
قرره النحاة واعتمده كل بليغ ونحاه من ان الضرورات تبيح المحظورات فان قال ذاك من
خصوصيات الشعر ولا ضرورة اليه في النثر قيل هذا اضيق من الشعر واصعب واخطر
منه وانصب لالتزامه مع هذه المراعات نقل المذهب وغاية ضرورة الشاعر في البيت
كله امران احدهما اقامة الوزن باي لفظ كان والثاني تحصيل الروي وهو يحصل بادنى امعان
وباي معنى من المعان واما ضرورة هذا الالتزام فهي في كان الواحدة عشر على التمام وذلك لان
١٠٥ السطر مقسوم بالحمرة اربعة اقسام على اللفظ الاحمر خلف كل وامام وكل لفظ منها محل
قد تخير ولحق من علم ما بين فتبين فلما التفت به الى القفة الاحطر اريد منه معنى اخر
فهذه ضرورتان والتوطيه له من قبل بحول دونها اماه فله وتذييله ليتم معناه بحول
دونه ما بعده فهاتان اخريان فصرن اربعا هبط في السطر الواحد مع كل حمرة وهي بهذا
الاعتبار عشرون ضرورة فتبين ان ضرورة هذا النثر فوق ضرورة ذاك الشعر بكثير
ولا ينبيك مثل خبير على اني انما ذكرت هذه الاعذار جريا على عادة سلفنا الاخيار
والتمزها هذا النمط بما لو ادى مناسبه للمقام لا حرصا على فتح ذي الملام ولولا ذاك
لكان ذكرها تحصيلا الحاصل اما عند الرجل الكامل فلاستغنايه بكماله واما المحيط بالجهل
المركب لا البسيط فلانه لا ينفك عن جداله ولا يردعه دليل عن خياله ولا يرى الصواب
الا ما قاله فهو الذي لا يرجى لجهله زوال كان الجبال في مواطنها الا تزال ومما ينسب
للامام الشافعي رضي الله عنه ما جادلت عالما الا وغلبته ولا جادلت جاهلا الا وغلبني
وذلك لان العالم يعرف الحجة فيقبلها ولا يعرفها الجاهل فيستوي عنده وجودها وعدمها

Copyright © King Saud University